

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم : 4] ﷺ الشيخ حسن عطوان



(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم : 4] ﷺ

ﷺ الشيخ حسن عطوان

عندما يمدح انسان انساناً فقد يُحتمل في هذا الممدح المجاملة وغلبة العاطفة ، لاسيما عندما يكون المادح ليس معصوماً .

أمّا أن° يصف ا□ سبحانه إنساناً بأزّه على خلق عظيم ، بعبارة اشتملت على أقوى المؤكّيدات ،

ف (إنّ°) تفيد التوكيد ، ولام الإبتداء المزلحقة في (لعلّ) تفيد التوكيد .

فأي مستوى من الخلق كان عليه رسول ا□؟؟

???? أخلاق° تحملت جلف الأعراب ..

وتجسيد° كامل لخلق القرآن ..

كان (صلى ا□ عليه وآله وسلم) لا يدعو الناس لشئ إلا ويبدأ بنفسه .

□ عندما كان يدعو الناس لعبادة اللّهُ فقد كان أعبد الناس جميعاً .

وإذا نهاهم عن شئ فهو الممتنع عنه قبل الجميع .

رُمي بالحجارة ..

وألقيت عليه الأوساخ ..

وأُتهم بالجنون والسحر والكذب ..

وكان يقابل كل ذلك بالنصح والصفح ،

والدعاء لهم بالهداية والرشد ..

???? روى ابن ماجه في سننه قال :

" أتى النبي (صلى الله عليه وآله) رجل فكلمه ، فجعل ترعد [من هيبه الرسول]

فرائصه ، [الفريضة : لحمه بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع]

فقال له : (هون عليك. فإنني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد) .

[والقديد هو اللحم المجفف ، كناية عن البساطة] .

[القزويني ، محمد بن يزيد ، (ابن ماجه) ، (ت : 273 هج) ، الحديث (3312) ، ج 2 ، ص 1101 ،

الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع] .

???? ويصفه وصيُّه أمير المؤمنين بأزفه :

(طابِيبُ دَوَّارٍ بِطَيْبٍ ، قَدِّ أَكْمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ ، يَضَعُ
ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَّةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبِ عُمَمِيٍّ وَأَذَانِ صُمٍَّ وَاللِّسَانَةِ بِكُمِّ ،
مُتَتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ) .

[نهج البلاغة ، الخطبة : 108]

???? (طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِيبِهِ) :

فهو كالطبيب لمرضاه ، لكنه لا ينتظر من المرضى أن يأتيوه ، بل هو يذهب اليهم ..

مع أن حال مرضاه أصعب من حال سائر المرضى ..

مرضاه مرضى في قلوبهم وعقولهم ،

مرضاه جهلة ويجهلون أنهم جهلة ومرضى ، فلا يقصدون طبيبا ، لذلك لا علاج لهم إلا عند طبيب يقصدهم ،
ليُشَخِّصَ لهم المرض والعلاج .

???? (قَدِّدُ أَكْهَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَكْمَى مَوَاسِمَهُ)

المراهم : جمع مَرَاهِمٍ وهي زيوت ودهون توضع على الرأس الجلد للعلاج .

والمواسم : جمع مِيسَمٍ بالكسر ، يجمع على مواسم ومياسم ، وهي آلة حديدية توضع في النار لتوسم بها
الإبل والمواشي ؛ لكي تُعْرَفَ .

???? (قَدِّدُ أَكْهَمَ مَرَاهِمَهُ) :

فهو (صلى الله عليه وآله) كان يستعمل المراهم في موضعها وموطن حاجتها حيث تنفع .

???? (وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ) :

ويستعمل الكي بالحديد حيث لا تنفع المراهم .

وبعبارة : أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو طبيب الأرواح كان تارة يعالج مرضاه بالمراهم حيث يرى كفاية ذلك ، وأخرى يعالجهم بالكي بالمواسم ، حيث لا تنفع معهم المراهم .

???? وهناك معنى آخر ، وهو :

أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصفه للرسول الأكرم يشير بعبارته الى أنّّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد استعمل اسلوبيين في تربية الأمة :

1. (قَدِّدْ أَحْمَى مَرَاهِمَهُ) : أي استعمل اللين والترغيب حيث ينفعان .

2. (وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ) : أي استعمل الحزم والشدة والتخويف ، حيث يفتضي الأمر لذلك .

وقد قدّم الإمام إحكام المراهم على إجماء المواسم ،

في إشارة لتقديم الرفق واللين على الشدة والخشونة .

???? وهنا إشارة لطيفة ، أنّه أحياناً يكون نفس الإجماء ، أي التهديد بالكي والشدة كافياً في العلاج ولو لم يُستعمل ذلك فعلاً .

???? (يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَّةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبِ عُمَمِي وَأَذَانِ صُمَّ)
وَأَلْسِنَةِ بُكْمٍ ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ)
:

فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مع أمته ، يعيش في وسطها ، لذلك كان يعرف جيداً مواطن الضعف فيها ، ونقاط قوتها ، ومتى تغفل ، واين تتحير ، وبأي شيء تتأثر ، وكيف تُعالج .

???? وعن أمير المؤمنين ايضاً أنّه قال :

(كُنْزًا إِذَا أَحْمَرَسَ الْبِئْسَ اتَّسَقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِّنَّا أَقْرَبَ إِلَيَّ الْعَدُوِّ مِنْهُ) .

[نهج البلاغة ، من غريب كلامه المحتاج الى تفسير ، رقم (9) .

قال الشريف الرضي :

ومعنى ذلك : " أنه إذا عظم الخوفُ من العدو واشتدَّ عِصَابُ الحربِ [أصله عض الفرس ، مجاز عن إهلاكها للمتحاربين] ،

فَزَعَّ المسلمون إلى قتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنفسه ، [أي : لجأوا الى طلب رسول الله ليقاتل بنفسه] ،

فيُنزِلُ الله تعالى النصر عليهم ، ويأمنون ما كانوا يخافونه بمكانه .

وقوله (عليه السلام) : (إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسَ) كناية عن اشتداد الامر ،

وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها : أنه شبهه حمى الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ، ومما يقوي ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وقد رأى مُجْتَلِدًا [الإجتلاذ : أي شدة الإقتال]

الناس يوم حنين وهي حرب هوازن : (حَمِيَّ الوَطَيْسُ) ، فالوطيسُ : مستوقد النار ، فشبه

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما استحرّ من جلد القوم [استحر : اشتد ، والجلاد : القتال]

باحتدام النار وشدة التهايبها " .